(11) أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه

هو من كبار الصحابة ، شهد بيعة العقبة وبدراً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ بل ظل يجاهد في سبيل الله تعالى في عهد الخلفاء الراشدين حتى نال الشهادة أثناء حرب المسلمين لفتح القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

بيته بيت مبارك ، إذ كان البيت الذي نزل فيه رسول الله ﷺ ضيفاً بعد الهجرة وقبل بناء المسجد النبوي ، وحجرات زوجات الرسول ﷺ .

اشتهر بين الناس بكنيته « أبو أيوب الأنصاري » أما اسمه فهو خالد بن زيد النجّاري الخزرجي الأنصاري ، أحد سابقي الأنصار إلى الإسلام ، مضيف رسول الله ﷺ ، وتوضيح حياته في الصحفات التالية .

* * *

سري خبر خروج رسول الله ﷺ من مكة مع صاحبه الصديق أبي بكر مهاجرين إلى المدينة المنورة ، وما أن أن علم أهلها بقدومه حتى خرجوا جميعا لاستقباله وكل منهم يود مصافحته والسلام عليه ، أو على الأقل رؤيته والتطلع إليه ، والسماع منه والاستماع إليه .

لكن شخصيتنا كانت له فضيلة استضافة الرسول ﷺ في داره ، وذلك أن كل أنصاري كان يأخذ بزمام ناقة الرسول ﷺ ، وهو يقول لهم : « **خلوا سبيلها فإنها مأمورة** » ومرت الناقة على قوم وقوم وقوم حتى وصلت إلى مكان فسيح بجوار دار أبي أيوب الأنصاري ، فبركت ثم قامت ودارت بالمكان ثم بركت فيه مرة أخرى فنزل رسول الله ﷺ عنها فأخذ أبو أيوب رضي الله عنه متاع النبي ﷺ وأدخله بيته ، ثم دعا رسول الله ﷺ إلى داره .

كيف كانت حياة النبي ﷺ مع أبي أيوب رضي الله عنه وزوجته ، وما المدة التي مكثها ضيفاً عليهما ؟؟

* * *

كان منزل أبي أيوب رضي الله عنه مكونًا من طابقين ، فنزل رسول الله ﷺ في الطابق

الأرضى بعد أن أخلاه أبو أيوب رضي الله عنه الذي صعد وامرأته إلى الطابق العلوي وما كاد أبو أيوب يصعد إلى غرفته في الدور العلوي حتى ذهب منتفضاً ، فعجبت زوجته ، وسألته : ماذا بك ؟ فأجابها : ويحك ماذا صنعنا ؟! أيكون رسول الله ﷺ في الأسفل ونحن أعلى منه نمشي فوقه ، إن هذا لن يكون . ولم يناما ليلتهما هذه .

ولما أصبح الصباح ذهب أبو أيوب رضي الله عنه إلى الرسول ﷺ وقال له : يا رسول الله ، والله ما غمض لي جفن أنا ولا أم أيوب . فسأل ﷺ : ومم ذاك ؟ يا أبا أيوب ؟ فقال : ذكرت أني على ظهر بيت أنت أسفله فخفت أن أتحرك فيتناثر عليك الغبار ويؤذيك تحركي ، وذكرت أيضاً أني أكون بينك وبين الوحي ، فقم يا رسول الله إلى الطابق الأعلى . فتبسم الرسول ﷺ وهو يقول : «**هوّن عليك يا أبا أيوب ، إن أرفق بنا أن نكون في السفل ، لما يغشانا من الناس**» .

انصرف أبوأيوب إلى أن كانت ليلة باردة انكسر فيها وعاء الماء لأبي أيوب رضي الله عنه فخاف أن يتسرب الماء إلى أسفل على رسول الله ﷺ ، فقام مع زوجته بما يلتحفان به وأخذا ينشفان الماء ويجففانه ، ولما أصبح الصباح راح يلح على رسول الله ﷺ ، ويقول له : يا رسول الله إني أكره أن أكون فوقك ، ثم قص عليه ما كان من أمر الماء الذي أريق ، فاستجاب الرسول ﷺ لرجائه ، وانتقل إلى الطابق الأعلى .

***

مكث رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب رضي الله عنه سبعة أشهر حتى تم بناء المسجد النبوي ، وحوله حجرات أمهات المؤمنين .

في أثناء مدة الضيافة كان أبو أيوب نعم المضيف ، وبلغ من حبه وزوجته لرسول الله ﷺ أنهما عندما كانا يقدمان له الطعام كانا يتتبعا أثر أصابعه ﷺ فيأكلا من حيث أكل ، إلى أن كان يوم عاد إليهما الطعام كما هو لم يمس ، فصعد أبو أيوب رضي الله عنه ، واستفسر : يا رسول الله كنت ترسل بالطعام فأنظر فيه فإذا رأيت أثر أصابعك وضعت فيه يدي ، حتى إذا كان هذا الطعام الذي أرسلت به إليّ ، فنظرت فلم أر أثر أصابعك .

فقال رسول الله ﷺ : أجل إن فيه ثوماً ، فكرهت أن أكله من أجل الملك الذي يأتينا ، وأما أنتم فكلوه .

وفي المقابل كان رسول الله ﷺ يحب أبا أيوب رضي الله عنه حباً جعله يذهب إليه كلما احتاج إلى الطعام ، أو يدخل دار أبي أيوب كأنه منزله تماماً . وكان أبو أيوب رضي الله عنه يدخر لرسول الله ﷺ طعاماً ، فإذا أتاه تناوله ، وإن لم يأت أطعمه أهله .

وفي ذات يوم خرج أبوبكر الصديق رضي الله عنه في منتصف يوم شديد الحرارة إلى المسجد فرآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسأله : يا أبابكر ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال أبوبكر رضي الله عنه : ما أخرجني إلا ما أجده من شدة الجوع . قال عمر رضي الله عنه : وأنا والله ما أخرجني غير ذلك .

وبينما وهما يتبادلان أطراف الحديث إذا خرج عليهما رسول الله ﷺ ، فسألهما : ما أخرجكما هذه الساعة ؟ فقالا : والله ما أخرجنا يا رسول الله إلا ما نجده من شدة الجوع . فقال ﷺ : وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غير ذلك . فانطلقوا فأتوا باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

خرجت إليهم أم أيوب مرحبة وهي تقول : مرحباً نبى الله ومن معه ، فسألها ﷺ : أين أبو أيوب ؟ فأجابت يعمل في نخل له ، وهو قريب منا .

وفي هذه الأثناء سمع أبو أيوب رضي الله عنه سؤال النبي ﷺ عنه ، فأقبل مسرعاً وهو يقول : مرحباً برسول الله وبمن معه . ثم قال : يا نبي الله ، ليس هذا بالوقت الذي كنت تجيء فيه ؟ فقال النبي ﷺ : صدقت . وفهم أبو أيوب رضي الله عنه ما الذي أتى برسول الله ﷺ وصاحبيه ، فانطلق إلى نخيله فقطع منها سباطة فيها تمر ورطب وبُسر [1] . فقال النبي ﷺ : ما أردت هذا . إلا جنيت لنا من تمره ؟ فقال أبو أيوب : يا رسول الله ، أحببت أن تأكل من تمره ورطبه وبُسره ، ولأذبحن لك مع هذا . فقال النبي ﷺ : إن ذبحت فلا تذبحن ذات لبن .

فقام أبو أيوب رضي الله عنه ، وأخذ جدياً فذبحه وقال لامرأته : اعجني واخبزي لنا . . ثم أخذ نصف الجدي وطبخه ، وشوي نصفه الآخر ، ثم أتى باللحم والخبز أمام رسول الله ﷺ وصاحبيه ، فأخذ الرسول ﷺ جزءاً من اللحم ووضعه في رغيف وأمر أبا أيوب رضي الله عنه أن يذهب به إلى فاطمة ، لأنها لم تصب مثل هذا الطعام منذ أيام

---

(1) التمر هو اليابس من تمر النخيل بعد نضجه ، والرطب هو ثمر النخيل إذا انضج ، والبُسْر هو تمر النخيل قبل نضجه .

وبعد أن أكل الجميع ، وحمدوا الله تعالى . قال الرسول ﷺ : خبز ولحم وتمر وبسر ورطب ، ثم دمعت عيناه وهو يكمل : والذي نفسي بيده إن هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة .

فعجب أبوبكر وعمر رضي الله عنهما ، أمثل هذا الطعام البسيط يعد نعيمًا يسألون عنه ؟!! ثم قال النبي ﷺ لأبي أيوب رضي الله عنه : ائتنا غداً . فلما أتاه أعطاه ﷺ جارية صغيرة . وقال له : يا أبا أيوب ، استوصي بها خيراً ، فإنا لم نر إلا خيراً ما دامت عندنا . فلما خرج الرسول ﷺ .

وخرج أبو أيوب رضي الله عنه ومعه الجارية من عند رسول الله ﷺ ، فلما دخل بيته قال لزوجته : والله لا أجد لوصية رسول الله ﷺ خيراً من عتق هذه الجارية لوجه الله تعالى . . وأعتقها .

وإذا كان أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه محباً لرسول الله ﷺ ، فإنه كذلك كان محباً لآل بيته وأهله ، يدل على ذلك أنه عندما حدثت واقعة الأفك [1] واتُهمت السيدة عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ في عرضها ، قالت أم أيوب لزوجها : يا أبا أيوب ، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلي وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله . فقال أبو أيوب رضي الله عنه : فعائشة والله خير منك .

***

منذ أن بايع أبو أيوب رضي الله عنه رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والجهاد في سبيل الله تعالى ، ظل يجاهد معه ، ويشهد المشاهد حتى انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه .

توالى عهد الخلفاء الراشدين ، وأبو أيوب رضي الله عنه البطل المجاهد فقد كان حب الجهاد يجري فيه جريان الدم في العروق ، والماء في النهر ، إنه رجل يحيا بالجهاد في سبيل الله تعالى ، ولهذا ظل يحمل السيف حتى بلغ من العمر ثمانين عاماً ، وكان يردد دائماً قول الله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ [التوبة : 41] .

---

(1) الإفك : الكذب العظيم . أو أشنع الكذب ، وحادثة الإفك هي اتهام السيدة عائشة رضي الله عنها مع صفوان بن المعطل السلمي ، والذي اشاع ذلك وروّج له رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول .

ويقول : إني أجد نفسي خفيفاً أو ثقيلاً ، ولذلك فالجهاد على أي الحالين مأمور به ، ولم تفته غزوة في سبيل الله ، ولم يتخلف عن موطن جهاد ، بل ما أن يدعو داعي الجهاد إلا وكان متقدما الصفوف ، حاملاً سيفه يرجو لقاء ربه شهيداً . حضر الفتوحات في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعثمان رضي الله عنه ، شهد مع على بن أبي طالب رضي الله عنه قتال الخوارج بالنّهرَوَان [1]، ولم يتخلف إلا عن غزوة واحدة عندما كان يقود الجيش المسلم شاب أقل منه سنا ، ويبدو أن أبا أيوب كان معترضاً على إمارته ، ولكنه بعد ذلك ندم على فوات هذا المشهد وذلك الفضل، ويقول : « **ما ضرني من استعمل عليّ** » .

إنه يريد أن يقول : لا يهم من يكون القائد ، بقدر ما يهم حضور المعركة ، ونوال الشرف ، وحيازة الفضل .

عندما نادى منادي الجهاد إلى القسطنطينية سنة اثنين وخمسين للهجرة في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، لبى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه النداء ، وحمل سيفه ، وركب فرسه يرجو أن يكون ممن يختصهم الله تعالى بالشهادة .

وصل الجيش بقيادة يزيد بن معاوية إلى أسوار القسطنطينية ، وظل يقاتل ، فاستعصت عليه ، وفي أثناء القتال مرض أبو أيوب رضي الله عنه أو أصيب ، فلزم الفراش فجاءه قائد الجيش يزيد بن معاوية يعوده ، فسأله : يا أبا أيوب ، ما حاجتك؟ قال : حاجتي إذا أنا مت فاركب بي ، وتوغل [2] في أرض العدو إلى أقصى ما تستطيع ، ثم ادفني وارجع ثم لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يردد لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

قام يزيد وأخذ كتيبة من أبطال المسلمين ، وتوغلوا في أرض العدو ليلاً ، حتى وصلوا أسوار المدينة ، وتحت أسوارها دفنوه ، ثم عادوا . . .

وفي الصباح قال جند الروم للمسلمين : لقد كان لكم في الليلة الماضية شأن فما هو ؟ أجابوا : هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا ، وأقدمهم إسلاماً ، وقد دفناه حيث قد رأيتم وعلمتم . ووالله لئن نبش قبره لن يضرب لكم ناقوس [3] مادمت لنا مملكة .

---

(1) النهْرَوان : موضع قاتل فيه على بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج سنة ثمان وثلاثين للهجرة .

(2) توغل : تعمق .

(3) الناقوس : جرس الكنيسة يُنادى به للصلاة .

وقبره رضي الله عنه ما زال هناك ، ولكن القسطنطينية الآن بلاد إسلامية بعد أن فتحها محمد الفاتح ، وتسمى الآن « اسطنبول » وهي في دولة تركيا .

رحم الله أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه الرجل الذي عاش محباً للرسول ﷺ وأهل بيته ، ومحباً للجهاد حتى نال شرف الشهادة في سبيل الله تعالى ، فهنيئاً له رفقته مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

*** من فضائل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .**

(1) روى عن سعيد بن المسيب أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه أخذ من لحية رسول الله ﷺ شيئاً ، فقال له : « **لا يصيبك السوء يا أبا أيوب** » رواه البيهقي في شعب الإيمان .

***